العرب
الإثنين 2020/09/14
السنة 43 العدد 11820

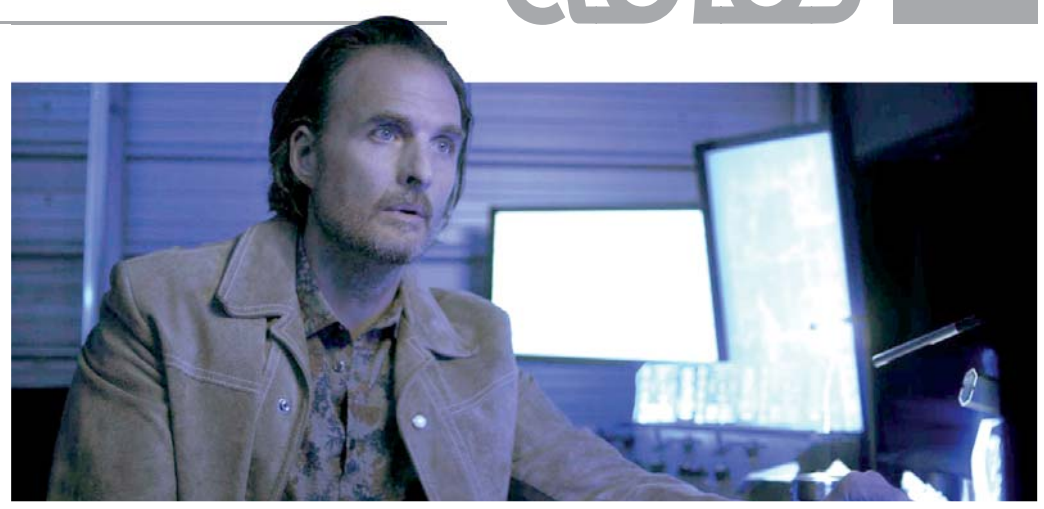

دوامة لا نهاية لها من الأسئلة

تجربة علمية محفوفة بالمخاطر

فيلم يمزج التحري بالعالم الافتراضي

«عقول متوازية» شخصيات تدور في فلك خيالات تتحوّل إلى كوابيس قاتلة

خيالات وأحلام تقود إلىٰ توقّعات ستحصل فعليا علىٰ أرض الواقع وتنتهي بجريمة قتل غامضة، وفق هذه الثنائية تتشكّل الدراما الفيلمية في فيلم "عقول متوازية" للمخرج بنجامين هايدن في جمع سلس بين الخيال العلمي والجريمة والتحرّي، ممّا يكسب العمل فرادته وتميّزة.

طاهر علوان
كاتب عراقي

الأحلام والخيالات والتوقّعات قد تجتمع معا لتمنح الشخصية إحساسا أن حدثا ما سيقع قريبا، واقعيا لا يفترض أن يقع حدث علىٰ الشاشة من دون أن يمتلك أسبابا ومن دون أن يكون له تمهيد منطقي كاف. هذه المقدّمات البصرية تندرج غالبا في إطار الأحلام والكوابيس التي بالإمكان أن تكون تمهيدا لما هو واقعي وقادم أو أرضية لأفعال جديدة.

كل هذا ينطبق علىٰ فيلم "عقول متوازية" للمخرج بنجامين هايدن، إذ أنه ينطلق من تخيلات الشخصية الرئيسية مارغو (الممثلة تومي- أمبر بيري) التي تشاهد شيئا من تلك الكوابيس، فترى جدتها وهي تلفظ أنفاسها، فيما هي صبية صغيرة والريح تعصف من حولها، ثم لننتقل إلىٰ الواقع ولتكون مارغو مواكبة لرحيل رئيستها في العمل إليز (الممثلة ميشيل ثراش) في ظرف غامض.

تبدو إليز مضطربة وخائفة وهي تسلّم مارغو كلمة المرور في جهاز الكومبيوتر الخاص بها بحجة أنها قد تتعرّض للنسيان، بينما هي في الحقيقة تشعر أنها سوف تتعرّض للتصفية بشكل عاجل، وذلك ما سوف يقع فعلا.

عند هذا التحوّل في الدراما الفيلمية والسرد الفيلمي سوف ننتقل من دائرة فيلم الخيال العلمي إلىٰ دائرة الجريمة، وبذلك يدخل التحرّي وأجهزة الشرطة لمعرفة من الذي ارتكب جريمة القتل.

يحضر المحقق توماس (الممثل كريك بيرك) ليبدأ هو ومارغو رحلة التحرّي التي سرعان ما تدخل في دائرة المغامرة، لأن لا شيء مُثيرا للبحث فيه في الوقت الحاضر.

علىٰ هذه الأرضية التي تمتزج فيها دراما الجريمة مع دراما الخيال العلمي لن تجد إلاّ سباقا للوصول إلىٰ الثيمتين بشكل ما. فعلىٰ صعيد ثيمة الخيال العلمي، فإن الأمر الذي سوف يفاجئنا هو إشراف إليز علىٰ مشروع تطوير كائن هجيني بشري، وهو نفسه الذي يهجم عليها ويقتلها، ولكن ببرمجة من؟ وتحت أنظار من؟

هذا السؤال هو محور دراما الجريمة الذي احتل المساحة المتبقية من الزمن الفيلمي، والتي يقودها المحقّق توماس ومعه مارغو، لكنهما سوف يواجهان قوة خفية وعناصر مبهمة، وهي في حقيقتها ليست إلاّ شبكة من الذين تآمروا علىٰ إليز وقتلوها بسبب الحقائق التي تمتلكها.

وخلال ذلك، لا تُفارق مارغو الأحلام والخيالات وتختلط بما هو واقعي من جهة وتكرّس أسئلة عن جدوى تكرار تلك الأحلام من جهة أخرى، مع أنها تمت الاستفادة منها منذ البداية، فما الجدوى من تكرارها ولاسيما مشاهد الخيالات والأحلام والطفولة؟

واقعيا يتم استهداف رجل الشرطة، وذلك خوفا من اكتشافه بعض الحقائق التي يخفيها المشروع الذي اغتيلت بسببه إليز، وهو الذي حمل اسم "العين الحمراء" وكل تركيزه علىٰ قضية تأسيس نوع من الذاكرة الجديدة والافتراضية المرتبطة بالعدسات اللاصقة من خلال سلسلة من التجارب الناجحة.

وخلال ذلك، هناك معطيات بصرية تبدو عابرة. لكن السؤال هو لماذا تمّ زجها في الفيلم؟ ومن ذلك علاقة العرق بالشخصية، إذ أن الكابوس- الحلم الذي يراود مارغو، ويتكرّر بشكل ملفت للنظر يتعلق بامرأة عجوز تبدو من عرقية مختلفة، لكن لا تبرير لأفعال الشخصية، ولا تكريس لها في هذه الدراما الفيلمية.

وإذا مضينا في هذا المسار يبدو أن مارغو مع ضابط التحري بدآ يلامسان خطوطا حمراء، قد تكشف الحقيقة التي أرادا أن يفنيا نفسيهما من أجلها.

كل ذلك إنما يعود إلىٰ رغبة المخرج في تكريس جانب الجريمة والغموض، فيما يلي من أحداث مع عدم إضعاف قضية الخيال العلمي التي تتشابك مع قضية مقتل إليز التي ذهبت ضحية كل ما وقع.

وعلىٰ صعيد البناء المكاني والعناصر البصرية، فقد نجح المخرج في إقناعنا بأن حقيقة ما يجري إنما يستوجب اهتماما خاصا ومكثفا بالحلول البصرية، وهو ما يلفت النظر من ناحية الإيحاء بالتكنولوجيا المتقدّمة والتفاعل مع عالم افتراضي علىٰ أساس التجارب التي تُجرى علىٰ العدسات.

وهنا سوف تتكرّر لازمة في مثل هذه الأفلام، وهي لازمة الانتقال إلىٰ عالم افتراضي لرؤية أحداث ومواقف ما ومن ثم العودة إلىٰ الواقع، لكن مع الإسراف في مثل هذا النوع من المعالجة.

علىٰ أن التصوير في أماكن حقيقية منح الفيلم جانبا من الواقعية في تجسيد الأحداث، ثم ما لبث أن انتقل بنا بالمقابل إلىٰ ما هو افتراضي من خلال ارتداء تلك الخوذة التي تتخللها كمية كبيرة من الأسلاك.

ولنعد بعد ذلك إلىٰ مارغو، وهي التي تسهم في تنظيم أفكار رجل الشرطة وهي لا تزال تدور في تلك الدوامة التي لا نهاية فيها، لكنها في واقع الأمر سبب في إحداث حبكات ثانوية تسهم في تأسيس تلك الدراما.

> التصوير في أماكن حقيقية منح الفيلم جانبا من الواقعية في تجسيد الأحداث، رغم استناد قصته على عوالم افتراضية

وإذا كان البناء الدرامي سويا في فيلم "عقول متوازية"، فإن السرد الفيلمي كان بحاجة إلىٰ المزيد من التعمّق ورسم مسارات أكثر تعبيرا عن أزمات الشخصيات، فلا يغدو الانتقال المكاني مجرد استمرار للحوارات المكرّرة والرتيبة بين الشرطي وبين مارغو، وفي كل الأحوال كانت هناك حاجة جديدة إلىٰ المزيد من التعمّق في بناء الأحداث وطرحها علىٰ الشاشة.

مسرحية تستعرض تنكّر الثورة الفرنسية لمبادئها

ما رسخ في الأذهان أن الثورة الفرنسية قامت ضدّ النبلاء وجاءت بإعلان حقوق الإنسان والمواطن، لترسي الحرية والمساواة والتآخي بين سائر البشر، غير أن مسرحية "ملعونة هذه الثورة" تكشف عن حقيقة المبادئ التي نادت بها ثم خالفتها لتفتح الباب أمام اضطهاد الشعوب.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

"ملعونة هذه الثورة" مسرحية وثائقية، تمسح قرنين من الزمان وتتنقل في ساعة، هي مدة العرض، من باريس 1789 إلىٰ باريس 1989 مرورا بهايتي والجزائر وبوركينا فاسو، وتستعرض مواقف أعلام كثر، اختلفوا في النظر إليها، وناقضوا أنفسهم في أكثر من موضع، وجرائم العبودية والاستعمار، وتفضح مبرّراتهما البغيضة، لتفتح طريقا يبدأ من روبسبيير إلىٰ توماس سنكارا، مرورا بإيمي سيزير وكاتب ياسين، هو طريق الحرية.

تطرح المسرحية إذن سؤالا كبيرا عن الثورة الفرنسية، هل كانت منارة أم خدعة؟ ففي الليل الكولونيالي الطويل، كثيرون من ظلوا يتنقلون من موقف إلىٰ آخر، يتذكّرون إعلان حقوق الإنسان، ونشيد لامارسييز وكلاهما ينضح بألوان كونية، ويتذكرون أيضا احتقار الأقوياء للمزارعين واعتبارهم جهلة متخلفين ميالين إلىٰ العنف.

لقد قامت تلك الثورة لنشر قيم الحرية والمساوة والأخوة، ثم تكشّفت ممارساتها علىٰ أرض الواقع بعكس ذلك، فهل أن رسالتها خدعة أم مجرد زينة لجمهورية عرقية، بعد أن انحرف المنتسبون إليها من قريب أو بعيد، وأغرقوا في برك من الدم انتفاضات وطنية واجتماعية، وراحوا ينشرون الحضارة بالعدّة والعتاد وبمبشّرين مدجّجين بالأسلحة؟

البطلة، نجمة، واختيار هذا الاسم ليس بريئا لأنه يحيل علىٰ بطلة رواية كاتب ياسين، هي تلميذة في الخامسة عشرة من عمرها، فرنسية من أصل جزائري، تعشق روبسبيير وتحاول أن تفهم تاريخ فرنسا وتاريخ تحرّر الشعوب، فتنظر إليهما بعين تحاول أن تتجرّد قدر الإمكان، خصوصا وهي تعرف أن يوم 8 مايو 1945 يوافق نهاية الحرب العالمية الثانية وتحرير فرنسا من قبضة النازيين، ويوافق أيضا مجزرة سطيف التي ارتكبها جيش الاستعمار الفرنسي ضد الجزائريين.

فالأحداث المسرودة، التي ينهض بها ممثلان وممثلة، تسير علىٰ هذا النحو، وتتراوح بين الشيء ونقيضه: روبسبيير الذي عارض حكم الإعدام، ثم وافق علىٰ إعدام لويس السادس عشر، قبل أن ينشر الرعب ويبطش حتىٰ برفاقه فتعود عليه الدوائر ويلقىٰ مصرعه.

قانون العبودية الذي ألغي عام 1794 وأعاده نابليون لحماية المستوطنين في أقاليم ما وراء البحر. قمع نابليون لثورة العبيد في جزيرة سان دومينغ (هايتي حاليا) ونفي قائدها توسان لوفرتور رغم أنه استهدى بالثورة الفرنسية، هذه الثورة التي أعدمت ملكا ورضيت بتنصيب إمبراطور. حتىٰ فيكتور هوغو، الأديب الإنساني الذي دافع عن السود ثم تحمّس لاحتلال قارتهم بدعوى إلغاء العبودية، قائلا قبل ساركوزي في خطاب داكار "إن أفريقيا لا تاريخ لها".

كذلك كليمنصو الذي عارض جول فيري ورفض السياسة الاستعمارية، ثم لم يتردّد حينما وصل إلىٰ السلطة في إطلاق النار علىٰ عمال مضربين، وسحق المقاومين المغاربة.

يسترجع الباحث الأكاديمي أوليفي طونّو، مؤلف هذا النص الوثائقي، أهم المحطات التي جلّلت قرنين من الزمان، ويجعل لها خطا رابطا يصل مزارعي 1789 بـ"اليعاقبة السود" في هايتي عام 1804، وضحايا البوليس الفرنسي من الجزائريين المهاجرين في أكتوبر 1961، وثورة الشعب البوركيني الذي حوّل فولتا العليا إلىٰ "بلد الرجال النزهاء" (بوركينا فاسو بلهجتي موري وديولا)، ليبيّن مسار الثورة الفرنسية، انتصاراتها وانكساراتها، جوانبها المضيئة التي استهدت بها شعوب كثيرة، وخيانتها لقيمها لتتحوّل إلىٰ حروب عدوانية واستيطانية كانت لها عواقب وخيمة علىٰ شعوب كثيرة من العالم، بدءا بأوروبا نفسها، وصولا إلىٰ القارة الأفريقية التي نشرت فيه الويل والدمار.

فالمسرحية تعيد المُشاهد إلىٰ أصول المبادئ الجمهورية، التي تنكّر لها الجميع خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، فيما اتخذتها الشعوب المستضعفة، الخاضعة للاستعمار، راية تقاوم بها هذا الاستعمار ذاتَه، لتذكيره بانحرافه عن ثورة إنسانية أبهرت العالم.

والممثلون يسردون تلك الوقائع من خلال كتابات، بعضها ثوري لإيمي سيزير وفرانز فانون وكاتب ياسين وتوماس سنكارا، وبعضها الآخر خليط من النقد والتأييد، نقد انحراف الثورة عن مسارها الأصلي، وتأييد لسياسة بعض القادة الفرنسيين، وهي لأوكتاف ميرابو وفيكتور هوغو وكليمنصو وروبسبيير بطبيعة الحال، كأول من عارض دعم المستوطنين البيض علىٰ حساب مبادئ الثورة وقال قولته الشهيرة حين طغىٰ المستوطنون طغيانهم "المستوطنات أولىٰ بالهلاك من المبدأ!".

> المسرحية تمسح قرنين من الزمن لتطرح سؤالا كبيرا عن الثورة الفرنسية، هل كانت منارة أم خدعة؟

وقد كان في أداء الممثلين، الذين تعاقبوا علىٰ تقمّص أكثر من دور، وكذلك قيمة النص، وحسن الإخراج، ما يسّر إدراك الجمهور لثورة تراوحت بين المثل العليا والحقيقة التاريخية، المؤلمة في فترات كثيرة.

تنحو المسرحية أحيانا منحىٰ تعليميا، ولكنها تحثّ علىٰ التأمل دون نظرة مانوية تفصل الأشرار عن الأخيار، فقد يصدر الخير والشر من الشخص نفسه، بتعدّد العوامل واختلاف الظروف، وتؤكّد علىٰ تشبّث المستعمَرين بقيم الثورة الفرنسية، ونبذهم ما انقلبت إليه.

والغاية من تأليفها كما صرّح الكاتب ليست مراجعة تاريخية للتغني بالماضي أو التنديد بمراحله المظلمة، وإنما لاستخلاص العبر التي يمكن أن يتوسّل بها الفرد في معاركه التحريرية اليوم، ضدّ السلطة والسياسات التي أدّت إلىٰ الفقر والتفاوت الاجتماعي وتدمير البيئة ونهب الثروات.

سرد مسرحي لمسار الثورة الفرنسية وتقلباتها

مغامرة عند حدود الخيال

فاروق يوسف
كاتب عراقي

البحرين بلد صغير، عاطفته أكبر منه. لذلك فإن مفاجآته الجمالية في مجال الفن كثيرة. كنت في وقت مبكر قد انتبهت إلىٰ المكانة التي تحتلها المرأة في الحياة التشكيلية.

كانت رسوم بلقيس فخرو التجريدية تأسرني. لقد صنعت تلك الرسامة عالما غزيرا في فتوحاته البصرية. من خلالها يمكن للمرء أن يتابع مسيره في حقول صارت المرأة تؤثّثها برؤاها التي تتشبه بعالمها.

لقد سحرتني تجارب الفنانات هلا الخليفة ولبنىٰ الأمين ونبيلة الخير ووحيدة مال الله وسمية عبدالغني بدرجات متفاوتة، غير أنني صرت في الأونة الأخيرة أنتبه إلىٰ رسوم فائقة الحسن.

فائقة تعود إلىٰ مرحلة ضبابية من حياتي. فهي درست في بغداد. وكانت تزور أكاديمية الفنون يوم كنت طالبا فيها. هل التقيت بها يومها؟ لا يمكنني الجزم بذلك. غير أنني التقيتها في المنامة ورأيت عددا من تجاربها الفنية في لندن. وصرت أتابعها.

ولأن فائقة تتميّز بكثرة اطلاعها علىٰ الفن العالمي، فإنها صارت تنتج أعمالا في سياق الفن المفاهيمي. الحس التجريبي الذي تميّزت به الفنانة منحها حرية التنقل بين خيارات أسلوبية متاحة. تلك ضالتها من أجل الوصول إلىٰ نتائج جمالية خاصة بها.

فائقة تحاول ومحاولاتها تستحق الثناء. فنانة تسعىٰ اليوم إلىٰ المزاوجة بين الرسم والفن المفاهيمي. وهو مسعىٰ جديد علىٰ مستوى عالمي. تستعير فائقة تقنيات قديمة تهبها طابعا حديثا من خلال الزجّ بها في مغامرة الفن المعاصر.

تجربة فائقة الحسن تمثل إضافة نوعية مهمة للفن النسوي في البحرين الذي يمثل حدثا مؤثرا في الحياة التشكيلية هناك.

أكتب عن فائقة لأنني أرغب في الثناء علىٰ جهدها، وفي الوقت نفسه فإنني أثني علىٰ تجارب الأخريات علىٰ اختلاف مستوياتهنّ في الأداء. تضعني فائقة في مواجهة الفن النسوي في البحرين باعتباره حدثا يجب التوقّف أمامه بإجلال. هناك شيء لم نره من قبل. غير أن الأهم أن هناك ما يدعونا إلىٰ التفكير بمعنىٰ التجريب في الفن. وما يلفت النظر أن الفنانات في البحرين يجتهدن في إظهار ميولهنّ إلىٰ التجريب الأسلوبي والتعامل مع المواد والتقنيات الحديثة بنوع عال من الحرفة.

فائقة الحسن تزاوج بمرونة بين الرسم والفن المفاهيمي